الفصل الخامس

المصريون فى باريس

تكريم المسيو مزمر . البرنسان عباس ومحمد على . البرنس حسين كامل الصغير . قصة النبيذ . سفير تركيا وحكمه عن اسماعيل . سمكة أول ابريل . الطالب بركوت . يوسف طلعت (باشا) . الشيخ احمد عبد الرحيم وابنته . على بك شاهين . مأدبة مصرية . بروسالى . بطرس غالى باشا . طلب مبارزة بين مصريين . السيد توفيق البكرى . وفد مصر لمؤتمر المستشرقين . أوامر خديوية

اتفق لى بالطبع أثناء وجودى بباريس ان اتصل بمعظم المصريين الذين يؤمونها وغيرها سواء للدراسة أو للزيارة وإن أقف على طرف من أخبارهم وأحوالهم وقد قيدت بعضها فى مذكراتى

تكريم المسيو مزمر . كان المسيو مزمر ـ كما قدمت ـ مدير البعثة المصرية، ولكنه أقيل من منصبه فى هذه الأيام ، فاجتمعنا ثمانية عشر طالباً مصرياً وقررنا دعوته لتناول العشاء معنا رداً على دعواته الماضية لنا ولمناسبة تركه منصبه . وفى الساعة السابعة من مساء يوم ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٥ اجتمعنا وجلس الطالب حسين رشدى (باشا) على يمين المحتفل به ثم نهض عقب انتهاء الطعام وألقى كلمة أبدى فيها أسف طلبة البعثة لفراق مديرهم وشكرهم له لما بذله لهم من صادق المعاونة والنصح . ثم شربنا نخبه .

ثم قام المسيو مزمر وشكر الجميع على هذه الحفاوة وقال :ـــ « انى من وقت تسلمى الادارة إلى اليوم كنت دائماً أوصيكم بشيئين : التمسك بالدين الاسلامى ، والاخاء فيما بينكم . ثم افهمتكم حسن نية الحضرة الخديوية واهتمامها بتوسيع نطاق التعليم وانكم ستجدونها فى كل وقت سنداً قوياً لكم

أما من ناحيتى فانى أعلم علم اليقين ان انفصالى ناشىء عن دسائس أرمنية (١) ولكن محبتى لذات الحضرة الخديوية لم تتزعزع بسبب انفصالى . ولذا فانى أشرب نخب سموه

ثم قام أحد أعضاء البعثة وشكر المسيو مزمر بالنيابة عن الطلبة فى مونپلييه فأجابه بالشكر ورجاه أن يكتب لهم عن لسانه شاكراً .

وحينما هم مسيو مزمر بالانصراف رجوته أن يسمح لى بكلمة قصيرة بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن زملائى الذين ليسوا من أعضاء البعثة . فقلت: « اننا مغتبطون باجتماعنا حولكم هذه الليلة . ولو أن حالتنا المتواضعة كطلبة لم تساعدنا على اظهار شكرنا كما أردنا . وان النصائح التى قدمتموها لنا والخدمات التى أديتموها لكل منا لشاهد صادق على حسن نيتكم ، ولهذا نأسف لانفصالكم عنا جد الأسف لاننا نرى فيكم أباً رؤوفاً »

فشكرنا مسيو مزمر جميعاً وانصرفنا فى نحو الساعة العاشرة .

البرنسان عباس ومحمد علي . قدم البرنسان عباس ومحمد على نجلا الخديو إلى باريس فى ١٨ يونيه سنة ١٨٨٦ . بقصد الرياضة وترويح النفس اثناء عطلة مدرستهما بجنيف فاستقبلتهما وحاشيتهما بالمحطة ورافقتهما إلى جراند اوتيل حيث تناولنا جميعاً طعام العشاء . وبعد ذلك ذهبنا إلى « الادن تياتر » وشاهدنا فيه العاباً مذكورة بفصل الملاهى .

وفى اليوم التالى ذهبت مع زكى بك التشريفاتى الذى كان يرافقهما إلى السفارة العثمانية فى باريس لسابق معرفتى بالسفير ، وطلبنا اليه تعيين موعد لزيارة البرنسين له . فعين الغد موعداً ، وكان يوم ٢٠ يونيه فقصدت السفارة مع البرنسين عصراً وفى معيتهما الدكتور عيسى باشا حمدى طبيب الخديو الخصوصى ومحمد زكى بك وعلى جمال باشا الذى كان بمثابة مرب لهما ، وجلسنا هنيهة مع السفير اسعد باشا ولما استأذنا فى الانصراف قام فودعنا إلى رأس السلم وفى اليوم التالى رد لسموهما الزيارة .

وفى يوم ٢٢ يونيه سافرا والحاشية إلى انجلترا للسياحة ومكثا بها حتى يوم ٢٧ يوليه حيث ورد لى تلغراف من زكى بك يخبرنى بوصول البرنسين إلى باريس فى هذا اليوم فانتظرتهما وعند وصولهما رافقتها الى جراند اوتيل .

---

(١) يريد بذلك يعقوب ارتين باشا وكيل المعارف في ذلك الوقت

وقد وقعت فكاهة ظريفة فى ذلك الحين وهى انه لما جاء الطلبة المصريون الذين كانوا فى باريس لزيارة البرنسين كان بينهم الدكتور صالح صبحى وكان ذا لحية مدببة على الطراز الفرنسى النابليونى. ولكنه قبل أن يزورهما رأى أن يقابل الدكتور عيسى باشا لما بينهما من صلة علمية. وكان مع الباشا محمد بك زكى فدارت بينهما هذه المحاورة:

عيسى باشا — وهل تنوى زيارة البرنسين أيضاً ؟

— نعم

— وبهذه اللحية ؟

— أيـــوه

— لا لا ياحبيبى. لا . يجب ألا تقابلهما بها !

— وما المانع يا باشا . هل هى وسخة أو فيها عيب ؟

— لا . ولكنها غير مناسبة . فيجب إزالتها أولا

وهنا تدخل محمد بك زكى فى الموضوع فقال لعيسى باشا : — « واحد شايل دقنه والثانى تعبان ليه » !!

ثم زار البرنسين بعد ذلك مع احتفاظه بلحيته ، واخبرهما بما حصل بينه وبين الدكتور عيسى باشا فضحكا كثيراً واستظرفاه . وكان من أثر ذلك انهما كانا يستصحبانه فى بعض جولاتهما مرتاحين إلى نكاته اللطيفة .

وفى أول اغسطس سنة ١٨٨٦ طلباه لمرافقتهما فى رياضة خلوية بضاحية روبنصون، إحدى ضواحى باريس ، فركبنا جميعاً عربة من النوع المسمى (مايل كوتش) وهى تستعمل عادة فى الذهاب إلى الصيد أو اللهو وتجرها اربعة خيول ، وكان احد السائقين ينفخ فى بوق صيد موقعاً نغمات الصيد بين حين وآخر، فكان الدكتور صبحى يرد عليه قائلا « زمر يازيدان . الدرة طابت »

وفى هذه الضاحية شجرة عتيقة مشهورة صعدنا اليها بسلم وتناولنا الغداء فوقها . وهناك سراى ملكية زرناها وشاهدنا ما بها من التحف والنافورات التى تفيض فى حديقتها وهى من نوع نافورات فرساى ولكنها أقل منها روعة وقد لاقينا هناك البرنس حسن باشا أخا توفيق باشا فاكل معنا فوق الشجرة . وفى يوم ٣ اغسطس

سافر البرنسان عباس ومحمد على إلى جنيف مصحوبين بمسيو شارل هكسيوس ابن صاحب مدرسة لانسى الموجود بها البرنسان وكذلك البير كوك نجل المستر كوك وقد نال النيشان العثمانى من الدرجة الرابعة مكافأة له على الخدمات التى أداها للبرنسين اثناء سياحتهما فى فرنسا وانكلترا وسويسرا .

البرنس حسين كامل الصغير [١] . وفى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٧ حضر إلى باريس البرنس حسين كامل الصغير نجل اسماعيل بك ابن محمد على باشا الصغير الذى احرق بالسودان ويصحبه يوسف ضيا (باشا) معاون تشريفاتى خديوى . وقد حضرا لزيارتى مساء وتناولا طعام العشاء عندنا كما تناولاه فى اليوم التالى ، فاستقبلتهما انا وابراهيم بك بالترحاب ، وعلمت من البرنس انه حضر للتعلم فى باريس .

وقد اتفق موجيل بك رئيس بعثة الحكومة المصرية ويوسف ضيا على اختيار مسكن لسموه فى البيت الذى اسكنه على ان نشترك فى تناول الطعام معاً وان الاحظ اعماله نوعاً ما ، وأرسل ضيا برقية لسمو الخديو فجاء الرد بالاستحسان . وقد استشارنى مدير البعثة فوافقت . وقد طفت مع البرنس ويوسف ضيا شوارع باريس ومتنزهاتها وذهبنا إلى بعض التياترات والملاهى .

وفى هذه الاثناء كان البرنس قد بعث فى طلب مبلغ كبير من المال لتأسيس المسكن الذى ينوى الأقامة فيه ولنفقات أخرى وكانت دائرته تعجز عن اجابة مطالبه فانتهى الأمر بأن وردت فى يوم ٢٢ نوفمبر برقية تقضى برجوعه لمصر .

ولما أن كان لا يوجد لدى البرنس ويوسف ضيا النقود الكافية فقد ذهبت مع الأخير لمحل كوك وأخذنا التذاكر منه واتفقنا على أن تضاف نفقات الفندق بمرسيليا على الحساب الذى بلغ نحو خمسماية فرنك وفى يوم ٢٣ منه سافرا إلى مرسيليا ومنها لمصر .

قصة النبيذ . فى ذات يوم قابلت صالح صبحى ظهراً بالقرب من فندق فدعوته لتناول الغذاء معى فابى قائلا : « إن مائدتك فقيرة » يعنى انها لا تضم بين الوانها نبيذاً . وكان يعلم انى لا أشرب الخمر مطلقاً .

وقد كان الداعى إلى ذلك أننى نشأت على كراهة الخمر واجتمعت عوامل لغرس هذه

---

(١) كان البرنس جميل الصورة وقد تزوج فيما بعد بثلاث شركسيات واقام سنوات طويلة فى استانبول وكان له غرام كبير بالتزين والتجمل كما هى عادة السيدات وينظر من نافذة منزله فيظن المارة أنه أمرأة فيغازلونه

الكراهية فى نفسى منها ان والدتى كانت دائماً تحذرنى منها وتضرب لى الأمثال على اضرارها وتصورها لى بصورة الداء العضال الذى يدفع بصاحبه إلى الهلاك المحقق. ومنها ان الظروف قيضت لى ان أرى مثالا ملموساً لمضار الخمر وفتكها ؛ ذلك أنه اثناء أقامتى بمصر فى بركة الفيل كان يسكن بجوارنا رجل من بقية المماليك مدمن على الشرب لا يكاد يفيق قط ، وقد فعلت به الخمر أقصى مايفعله الداء بمريض فذهبت برشاده وتركته رثا كئيباً بعد ان جردته من ماله وكرامته . وكثيراً ما كنت أراه ملقى على الأرض فى حالة مزرية لا يعى شيئاً مماحوله يقف ليتعثر ويهم لينبطح ويلقى عليه المارة من قوارص نكاتهم مايحطمه لو كان يفهمه ولكنه لم يكن يسمع أو يفقه. وقد كان قدومه إلى الحارة متأخراً كل ليلة مثاراً لضجة من السكان تمتزج بها ضحكات السخرية من كل صوب ولست أنسى شبحه وهو ملقى على الأرض فى ليلة ممطرة وقد لطخه الوحل وجاء اليه خفيران غليظان فحملاه من رجليه ويديه الى منزله .

كانت كل صورة من هذه الصور فى ذهنى كافية لتنفيرى من الخمر . وكنت اذكر هذا المسكين كلما ذكرت الخمر وأتخيله معها جزءا لا ينفصل من صورتها . فكان شبحاً مخيفاً يهيب بى ألا أذوقها .

فلما ان دعوت صديقى للغذاء وأبى « لفقر مائدتى » وعدته أن اقدم له شراباً فقبل دعوتى، وبعد أيام زرته فى يوم حار وهناك طلبت كوبة ماء فقال : هلا تستحسن شراب الرمان؟ قلت: بكل شكر. فقدم الى قدح شراب احمر فتناولته وشربت كل ما فيه دفعة واحدة ولكنى شعرت بحموضة فى طعمه فكان عذره انها ناشئة عن قدم زجاجة الشراب — شراب الرمان بطبيعة الحال

ومضت مدة بعد هذا الحادث الذى مر فى سكون .

وبعد أيام لاقانى مرة أخرى قريباً من فندقى فدعوته للطعام فأبى ما لم أعده بالشراب معه . ولكنى افهمته استحالة ذلك وقصصت عليه حكاية جارى السكير وحدثته عن تلك الصورة المزعجة القذرة التى خلفتها الخمر فى مخيلتى وانى صممت على عدم تناول شىء منها ما حييت ولم اتناول منها شيئاً للآن .

فقهقه صاحبى . عندئذ تذكرت شراب الرمان المزعوم وخطر لى انه ربما كان خمراً وانها كانت مكيدة فكهة منه ، وسألته عن الحقيقة فاذا هى كما توقعت وذكر لى انه أضاف على الشراب شيئاً من السكر لتخفى على حقيقته .وكان كثيراً ما يقول لى: « انه سيأتى يوم

فيه تضطر لشرب الخمر ولا سيما فى فصل الشتاء القارص ، وكنت امانع فى هذا وانكره حتى جاء الشتاء فاضطررت لتناول النبيذ باعتدال بأمر الطبيب (١)

سفير تركيا وحكمه على اسماعيل . وفى يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٨٧ ذهبت عصراً مع ابراهيم بك لأقدمه إلى السفير التركى اسعد باشا فقابلنا مقابلة حسنة . ودار بيننا الحديث حتى وصلنا الى حالة مصر فقال السفير : « ان مصر من عهد محمد على إلى الآن وهى فى تقدم مستمر . غير ان الخديويين الذين أتوا بعد محمد على لم يحسنوا الادارة مثله فنشأ عن ذلك تراكم الديون خصوصاً فى ولاية اسماعيل باشا الخديو السابق. نعم انه ادخل فى مصر اصلاحات كثيرة كانشاء الشوارع وحديقة الازبكية والاوبرا ولا سيما السكك الحديدية والرى . ولكن هذه الاصلاحات كلها لا توازى نصف ما اقترضته مصر » ثم أشار إلى اسرافه فى اللهو والملاذ . ولم يقل شيئاً عن الخديو توفيق

وقد ارسل السفير سكرتيره جمال بك رداً على زيارتنا له .

سمكة أول ابريل . اعتاد الأوربيون أن يتفكهوا فى أول يوم من أبريل بتدبير أكاذيب مثيرة للدهشة أو الضحك لغرابتها ومن الحوادث التى بلغتنى هذه الحادثة الظريفة :

تلقى أحد الطلبة المصريين فى العام الماضى فى أول ابريل من إدارة البريد اخطاراً فتسلم به « طرداً مغرماً » فذهب ودفع قيمة الرسوم المقررة وتسلمه فاذا هو عبارة عن صندوق من الصفيح كصناديق المربى . ولما فتحه وجد ما لا يسر عيناً أن تقع عليه فقذف به إلى المرحاض متقززاً ساخطاً وفهم انها « كذبة ابريل » ثم اجتهد ان يعرف من هو مرسل الهدية ، وما لبث ان عرفه وأسرها فى نفسه للعام التالى أى هذا العام .

وفى آخر يوم من مارس سنة ١٨٨٧ ذهب إلى حمام وكلف إدارته بارسال « حمام منزلى » عبارة عن مغطس من الصاج وماء ساخن فى برميل بعنوان صديقه صاحب هدية العام الفائت ودفع قيمته وحدد له ميعاداً فى الساعة الثامنة صباح أول ابريل . وغادره الى حمّام آخر فكلفه نفس التكليف بتأخير نصف ساعة عن الميعاد الأول . وغادره الى ثالث كذلك .

وفى الصباح أفاق صاحبنا من نومه على طرق عامل الحمام لغرفته وهو يحمل ما أوصى

---

(١) ولما رجعت لمصر وكنت اتناوله على الأكل احسست بضرر من تناوله فكنت عقب الأكل اتثاءب ويكاد يغلبنى النعاس فضلا عما كنت أشعر به من التهاب فى الحنجرة فتركته بتاتا

به صديقه . فدهش اذ قال له الرسول: ــ هذا هو الحمام الذى أوصيت به ودفعت أجرته فلما أنكر أخرج له عنوانه المكتوب لدى الادارة وأخيراً قبله وهو يعجب فى نفسه . وما كاد يبدأ فى خلع ثيابه ويستعد للاستحمام حتى دق الباب عامل الحمام الثانى وعنوان الطالب فى يده وهو يصر على أن يترك ما يحمله كالأمر المعطى له ، ويرفض صاحبنا وينكر توصيته بشىء فلا يزيد العامل الا أصراراً، وبينما هما فى مشاحنة أمام باب المسكن اذا بعامل ثالث يجىء وما أن رآه صاحبنا يحمل ما يحمل حتى زاد سخطه وحصلت ضجة فاجتمع أمام الباب لمشاهدة الأضحوكة كثير من السكان، فخجل الطالب ومنعاً من استمرار هذه المهزلة استسلم أخيراً وأدخل الآخيرين فى غرفته الصغيرة

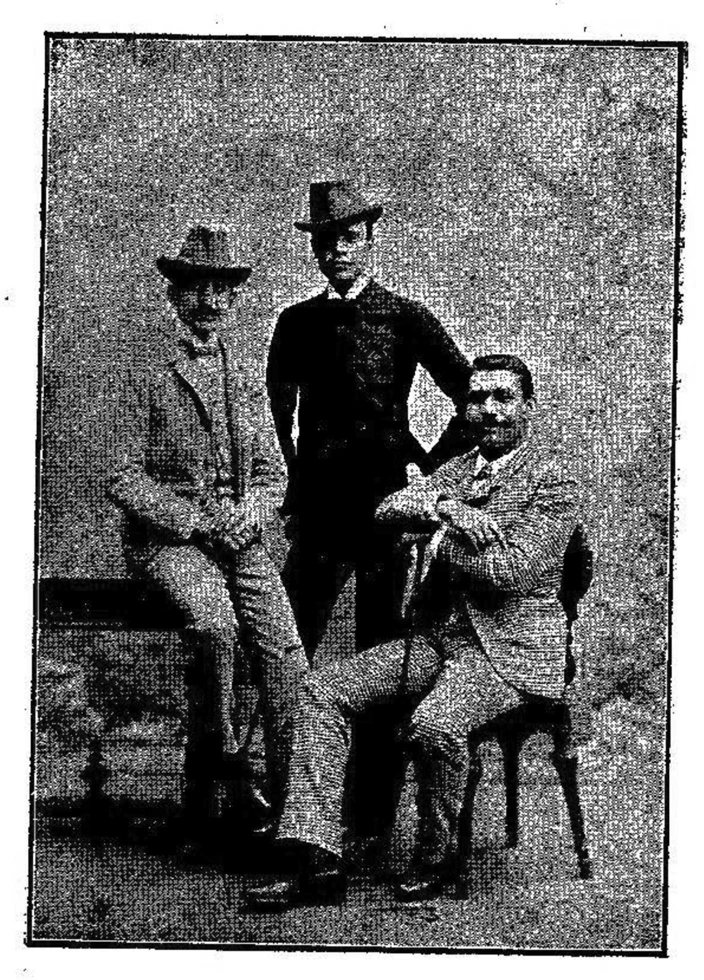
ولعل صاحبه المُهدى قصد بهذه الحمامات أن يغسل بها قذارة الهدية السابقة !!

وفى أول ابريل سنة ١٨٨٨ وردالينا مظروف ففتحناه فاذا فيه :

Aimables Egyptiens ورسم سمكة لها رجلان وبيدها عصا وأمامها رجل فى يده قبعة وهو واقف للسلام عليها

الطالب بهجت . وفى يوم ٢ ابريل سنة ١٨٨٧ جاءتنى رسالة من محمد بك زكى يكلفنى فيها بناء على أمر سمو الخديو أن أذهب الى فرساى للاستعلام عن حالة بهجت افندى الطالب فى مدرستها وأن أكتب لوالدته وهى منتمية للسراى رسالة كل خمسة عشر يوماً أشرح لها حالته فيها . فذهبت فى اليوم الثالث ولم يكن هذا اليوم من الأيام المسموح فيها زيارة الطلبة كما عرفنى ناظر المدرسة . فأظهرت أسفى الزائد وقلت بالفرنسية "C'est embêttant" « داخزوق » فراجعنى الناظر وقال: ماذا تقول؟ ففهمت ان كلمتى لم تكن أدبية فغيرتها وقلت: "C'est enuyeux" « شىء يغيظ » فلما أن أصلحت غلطتى قال: "à la bonheur" «هذا حسن » ولهذا سمح لى بصفة استثنائية بمقابلة بهجت

يوسف طلعت (باشا) . وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٧ حضر يوسف طلعت نجل طلعت باشا رئيس الديوان الخديوى الى باريس حيث تعلم اللغة الفرنسية فأقام معى وابراهيم بك فى مسكننا مدة ثم انتقل الى سكن خاص . وهو خريج المدرسة الحربية وقد حضر حرب العرابيين ضد الانجليز بجهة قناة السويس . وتصادف عند حضوره أن كان فصل الأمطار والصواعق فلما سمع الرعد القاصف ورأى نزول الصواعق وخطف البرق وقع له من الانزعاج ما ادهشنا، إذ بادر إلى السرير واختفى تحت الأغطية



(من اليسار) يوسف طلعت وابراهيم ذو الفقار وشفيق

حتى لا يرى أو يسمع شيئاً . فلما هدأ الجو سكن روعه فسألناه كيف يخشى هذه العواصف الجوية مع أنه من الضباط الذين حضروا المواقع المخيفة وشهدوا اطلاق المدافع ونزول القذائف ؟ فأجابنا إنه كان يتقيها باختفائه فى الخنادق !

الشيخ احمد عبد الرحيم وابنته . فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٧ قدم إلى باريس الشيخ احمد عبد الرحيم الذى كان مدرس اللغة العربية للبرنسين عباس ومحمد على فى نيوشاتل بسويسرا . فلما غادراها وانتظما فى معهد « التريزيانوم » بفينا قدم الشيخ احمد إلى باريس لدرس الحقوق واللغة الفرنسية وكان قد تعلم منها شيئاً أيام وجوده بسويسرا : فدعوته لتناول الطعام معى وعلمت منه أنه يريد أن يعين خلفاً للشيخ حسن جلال مدرس اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية والذى سيغادر باريس قريباً فنصحته بكتابة التماس بذلك الى زكى بك وأشرت عليه بكلمة توصية فجاءنى الرد فى يوم ١٤ منه وفيه ما يأتى « وصلنى التماس الشيخ عبد الرحيم وعليه توصيتك فاخبره بأن يسكت ولا يقلق فسيعين

قريباً) وقد عين عقب ذلك فعلا واستمرت علاقتنا به إلى أن دعانى وابراهيم بك فى يوم ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٩ للعشاء عنده وقد أرانا ابنته التى رزق بها منذ ثلاثة أشهر. وحدثنا عن الصعوبة التى لاقاها عند ما أراد أن يسميها « نجية » فان مسجل الأسماء لم يقبل هذا الاسم لأنه غير موجود فى التقويم المسيحى . والتقاليد تقضى بان كل مولود يولد فى فرنسا يجب أن يختار اسمه من بين الأسماء المدرجة فى هذا التقويم وأخيراً وجد اسم « زينبيو » وهو اسم ملكة حكمت مصرفى الزمن الغابر، فقبله الاستاذ وحلت المشكلة . وأصبح للمولودة اسمان أحدهما رسمى وهو « زينبيو » والآخر غير رسمى وهو « نجية ».

على شاهين بك . وفى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٧ كلفت من قبل الخديو بمهمة تتعلق بطالب مصرى هو على بك شاهين. نجل شاهين باشا ناظر الحربية فى عهد الخديو اسماعيل(١) وكان يدرس فى مدرسة « توديكوم » بجنيف ويقيم مع عائلة مدير المدرسة مسيو تافان وكانت له ابنة حسناء أحبها على بك فبلغ سمو الخديو توفيق ذلك .

فجاءنى أمر من سموه بان أذهب إلى جنيف وأبذل كل ما فى وسعى لاستصحاب على بك شاهين وابعاده عن جنيف . وفى يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٧ مساء بارحت باريس إلى جنيف فوصلت مساء ٢٢ منه إلى « دول » ونزلت بها وتوجهت لزيارة جودار باشا رئيسى السابق فقابلنى بكل ترحاب وقال لى: (قبلنى ياشفيق) والدموع تجول فى عينيه وتغديت عنده وقدمنى لأفراد عائلته وتحدثنا كثيراً ، ولما آن ميعاد متابعتى السفر إلى جنيف ودعنى وعانقنى فوصلت هنالك يوم ٢٣ نوفمبر . وكان معى من زكى بك ثلاث رسائل احداها لمسيو تافان والثانية لمسيو هكسيوس لمساعدتى فى مهمتى والثالثة لعلى بك نفسه . ولما تسلم مسيو هكسيوس رسالته أرسل معى نجله شارل هكسيوس لمقابلة مسيو تافان وهنالك سلمته رسالته — ولم يكن على بك موجوداً — فوعدنى بأن ينبه عليه بالاستعداد للسفر والحضور لمقابلتى فى الفندق وفى المساء تلاقيت بعلى بك وحادثته فى مسألة سفره واقنعته بوجوب الطاعة لاوامر سمو الخديو،فقبل متألماً ثم سويت حساباته .

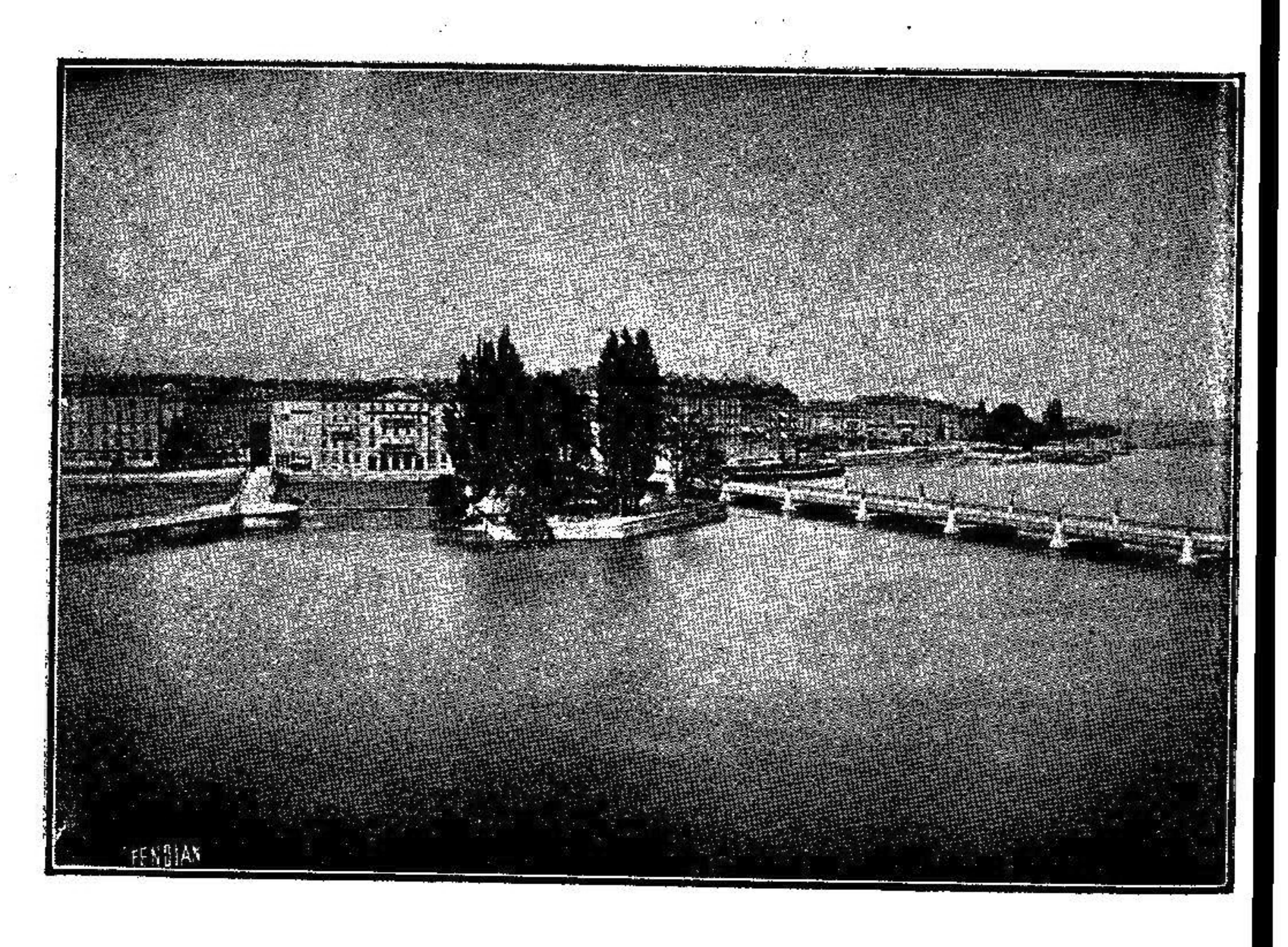
وقد لاقيت فى ذلك صعوبة كبيرة اذ أن المسيو تافان كان يتعلل بكل ما وسع لتعطيلنا وانتهيت اخيراً معه بدفع كل مطلوبه

---

(١) كان شاهين باشا قد توفى وابنه تحت الوصاية

وغادرنا جنيف يوم ٢٧ حيث وصلنا فى اليوم التالى الى اكس ونزلنا فى أحد فنادقها . وفى وقت الطعام لمحت بين الحضور أحمد بك ذو الفقار زميلى بالمعية فسلمت عليه باشتياق وأكلنا معاً . وعلمت منه أنه ذاهب الى باريس لدراسة الحقوق بعد أن استأذن سمو الخديو فى السفر لاتمام دراسته . وبقيت فى اكس أياماً أرتب شئون على بك حتى انتهيت منها ورجعت الى باريس . ولم يفتنى مدة وجودى بجنيف أن أشاهدها وأتفرج على ما فيها ومما اذكره أننى فى يوم ٢٤ نوفمبر توجهت الى الكورسال بصحبة على بك شاهين وبعض المصريين فوجدته فى بناء لطيف ، وهو مجمع الأغراب وتسمع فيه الموسيقى وتفرجت على الرقص وسمعت الغناء وشاهدت أعمالا أتاها منوم مغناطيسى قدير

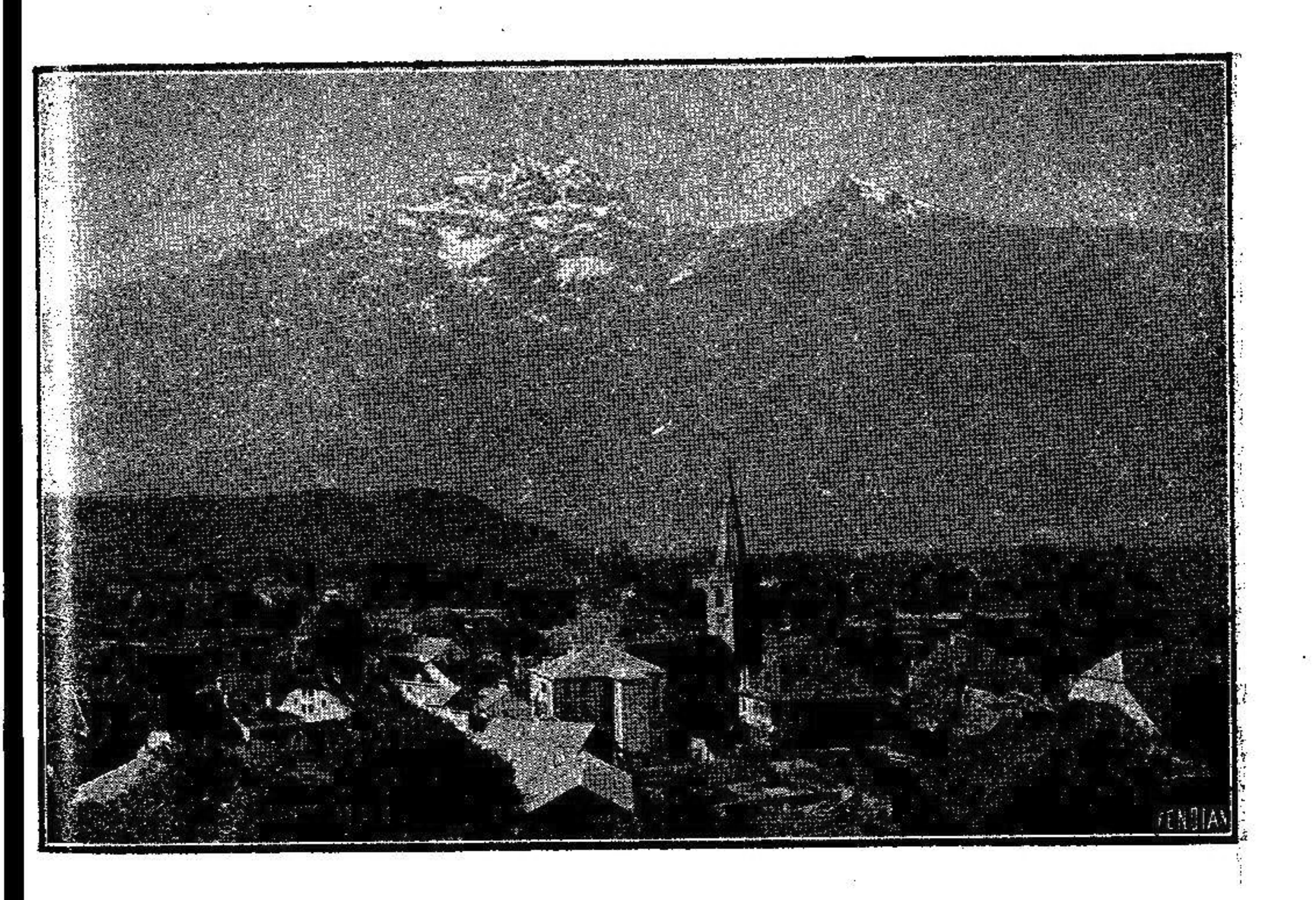
ومدينة جنيف جميلة وبها مبان شاهقة وحديقة جميلة على البحيرة وتسمى « الحديقة الانجليزية »



رصيف مونت بلان وجزيرة روسو

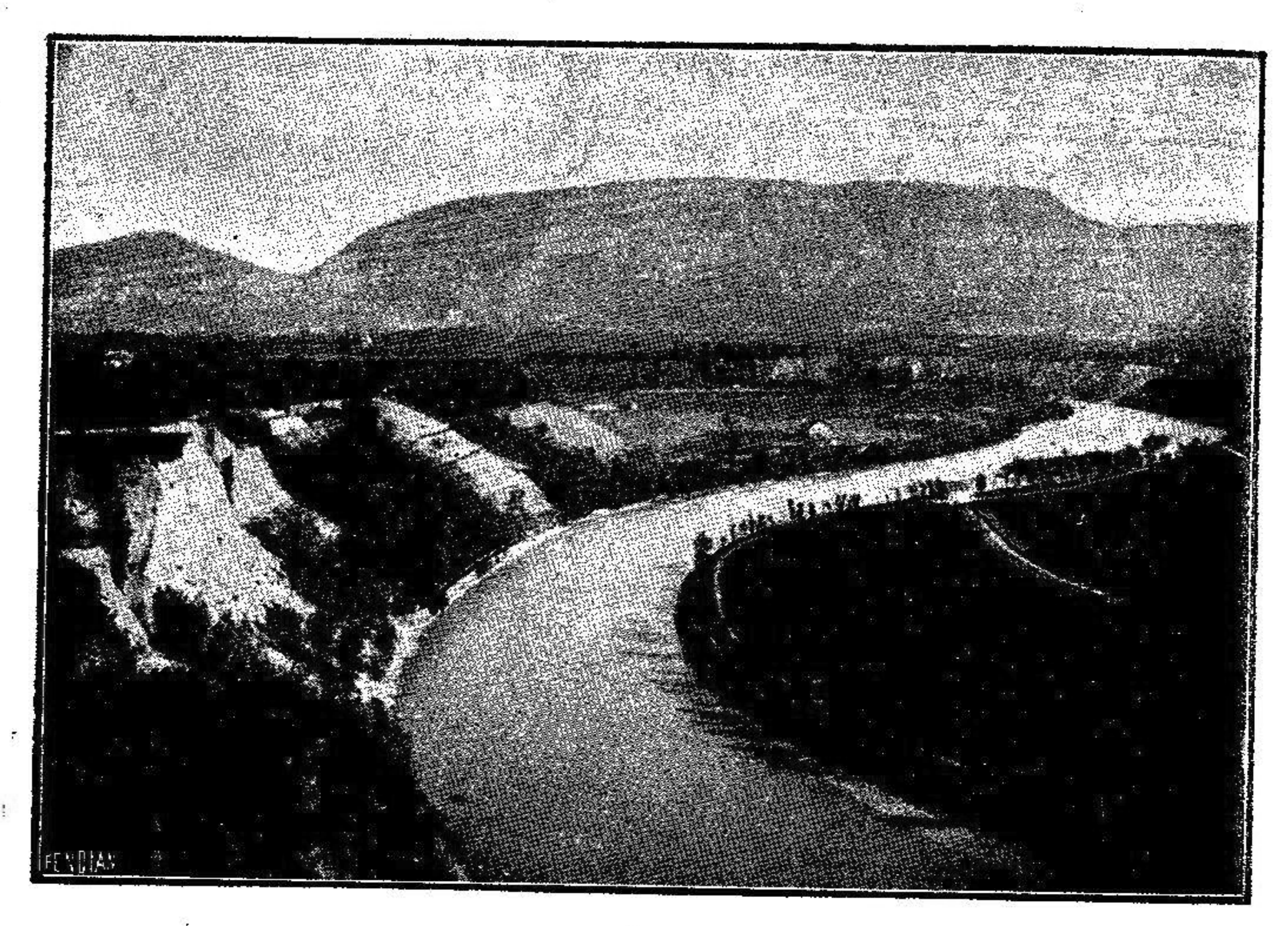
وشاهدت رصيف « مونت بلان » كما تفرجت على جزيرة روسو الواقعة فى وسط البحيرة وهى بديعة جداً بها حدائق غناء .

وشاهدت من نوافذ غرفتى بالفندق والتى كانت تطل على البحيرة جبل (دان دى ميدى)



جبل دان دى ميدى على بحيرة جنيف

وفى يوم ٢٥ منه صحبت على بك شاهين لزيارة جبـل ساليف الواقع على حدود جنيف فى الجهة الفرنسية



جبل ساليف

وفى يوم ٢٦ منه توجهت إلى مصنع لصنع الساعات ومحل لبيع العلب الموسيقية، ومن أغرب ما شهدته فيه « قصرية » عند ما يبول الانسان فيها تحدث نغمات موسيقية، وكذلك قلل للشرب تحدث أصواتاً جميلة عند الشرب منها. وفى مساء هذا اليوم توجهت إلى دار الأوبرا وشاهدت لعبة (القلب واليد) وكان التمثيل عاديا ، ويشترط فى هذه الأوبرا أن تخلع كل السيدات قبعاتهن ولكن يصرح للعجائز فقط ترك القبعات على رؤوسهن .

مأدبة مصرية . وفى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٨ دعونا مسيو جرى وصاحبته (١) ومسيو بوب وصاحبته (٢) للعشاء معنا . وقد وضعنا للاطعمة أسماء مبتكرة بقصد الفكاهة والانشراح فكانت كما يأتى : —

(١) كان لها محل تجارى فى السوق الكبير للخضر والفاكهة واللحوم في باريس

(٢) انتظم مسيو بوب فى السلك السياسى فيما بعد وعين قنصلا جنرالا لفرنسا فى مصر قبل الحرب وكان زميلا لى بمدرسة العلوم السياسية

(١) شوربة عدس فلاحى
(٢) سمك « صومون » مع صلصة بربرية
(٣) فرخة محشية على الطراز المصرى
(٤) سلاطة تركى
(٥) خرشوف حريمى
(٦) كنافة خديوية
(٧) جبنة رومى
(٨) أهرام من الدندرمة
(٩) سجاير فرعونية
(١٠) قهوة الاتركة
(١١) فواكه ومشروبات

وفى أثناء الطعام كنا نتحدث فى أمور شتى ومضحكة ؛ من ذلك أن خليلة مسيو جرى أخبرتنا أنها فى ذات مرة كانت واقفة أمام محلها بالسوق وتصادف مرور رجل فانزلقت قدمه من بقايا بعض الخضر على الأرض وكاد يسقط لولا أنه قبض على ملابسها من الأمام فتألمت وقالت له : « هل تريد أن تستعمل مشعرى حبلا للخلاص ؟ » وهذا دليل على أن نساء هذا السوق لا يأنفن من استعمال بعض التعبيرات غير الحسنة .

وبعد تناول الطعام قصدنا أحد المسارح وأمضينا السهرة فى أنس وحبور

بروسالى . وفى يوم ١٢ مايو جاءنى المسيو بروسالى ، وهو أرمنى كان موظفاً فى صندوق الدين بمصر وحضر الى باريس لدرس الحقوق ، وكان يحضر للدكتوراه وقد رجانى ، بناء على نصيحة مسيو رينو الشهير معلمى فى القانون الدولى، أن أدله على المصادر الخاصة بموضوع الامتيازات التى حصلت عليها مصر من السلطان ، لأنه كان يريد وضع رسالته فى هذا الموضوع ، فأرشدته الى مجموعة الأوامر والفرمانات السلطانية المطبوعة بمطبعة الجوائب .

بطرس غالى باشا . وفى ٢٥ منه حضر بطرس باشا غالى وكيل الحقانية الى باريس لرؤية ولديه نجيب وواصف غالى الطالبين بمدرسة فرساى ونزل بفندق الدانوب . فذهبنا فى يوم ٢ يونيه لمقابلته ، فرأيناه جالساً على مقعد فى مدخل الفندق ، فتقدم ابراهيم

بك لتحيته ولكنه لم يرفع قبعته ، ولم يبد اهتماما به أما أنا فلم يعرفني وقد ذكرته باسمي فلم يهتم أيضاً ، وعندئذ اعدت قبعتي إلى رأسي . ثم صعد معنا إلى غرفته وأخذ يحدثنا عن التعليم والدراسة وتمنى لنا النجاح فشكرناه وانصرفنا

طلب مبارزة بين مصريين . في ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٨ وقعت مشادة خطيرة بين عزيز ثابت (بك) نجل ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي واحمد ذي الفقار (باشا) نجل على ذي الفقار باشا السر تشريفاتي ؛ تطاول فيها الأول على الثاني فقابله هذا بلطمة على وجهه فخرج عزيز متهيجاً ثم أرسل شاهديه يطلبان من احمد ذي الفقار المبارزة لرد شرفه ، فتدخلت في الامر ونصحت احمد بان يجيب الشاهدين بان لعزيز أن يطلب حقه بطريق غير المبارزة ، لانها محرمة في القوانين المصرية . ثم كتبت لعزيز رقعة انصحه فيها بالا يشرك الاجانب في شئوننا وان يتركنا نسوى المسألة فيما بيننا .

وفي ٢ يناير سنة ١٨٨٩ قصدت يوسف بك طلعت ، وكان يسكن في طابق بنفس المنزل الذي نسكن فيه ، وهناك وجدت عزيز ثابت فحادثته في الأمر وكررت له نصحي ولكنه أبي حتى إذا لوحت له بابلاغ الأمر للمعية اشتد غيظه ورماني بألفاظ جارحة رددت عليه بعضها . ثم بعثت برسالة شخصية إلى محمد بك زكي التشريفاتي بتاريخ ٥ يناير أخبره بالحادث وأرجوه أن يبلغه لثابت باشا لأني أعتقد انه لا يرضى عن مثل هذا التصرف من نجله في بلاد أجنبية . وارسلت بطاقتي الشاهدين ، وكانا من مراسلي الصحف في فرنسا ، مشيراً إلى الفضيحة التي تترتب على نشر تفاصيل الحادث في الجرائد وهو ما لا أرضاه لوالدي المتخاصمين وكلاهما أعتبره والداً لي . وفي ١١ منه انتهى الحادث وعاد المتخاصمان . ولكن عزيز استمر رغم ذلك في مقاطعتي .

السيد توفيق البكري . لما علمت من خطاب ورد لي من مصر ان السيد توفيق البكري سيحضر إلى فرنسا استقبلته في ليون يوم ١٥ يونيه سنة ١٨٨٩ ورافقته إلى باريس . وهنالك استأجرت له حجرتين بواسطة محل كوك وأرسلت نبذة عنه إلى جريدة « الفيجارو » فنشرتها بنصها في اليوم التالي . وقد اتفق على تناول الطعام معي وابراهيم بك .

وفي ٦ يوليه وردت لي رسالة من والدتي توصيني فيها بالسيد وملاحظته في باريس حتى لا تغره مظاهرها ولا يندفع في تيارها خوفاً من غضب سمو الخديو عليه لو علم بأنه أساء السيرة .

فعملت بالوصية وكنت استصحبه دائماً حتى كان يوم ٢٧ يوليه حيث توجهنا إلى بهو غناء فى الشانزليزيه فشعر بخفقان فى القلب أثناء الغناء، فعرضته على أحد الصيادلة فهول له الأمر فأثر عليه الوهم واشتد اضطرابه، فرأيت عندئذ ان اعرضه على طبيب فأكد له أن لا خوف عليه ولكنه بالرغم من ذلك صمم على العودة لمصر وبدأ فى شراء بعض الهدايا وقفل راجعاً فى يوم ٣١ يوليه سنة ١٨٨٩.

وفد مصر لمؤتمر المستشرقين. وافق اليوم السابع من أغسطس سنة ١٨٨٩ عيد الأضحى ففى يوم ١١ منه أى رابع أيام العيد دعوت لتناول طعام العشاء عندى عبد الله باشا فكرى وابنه أمين بك فكرى والشيخ حمزة فتح الله والشيخ محمود عمر، وهم أعضاء البعثة العلمية الموفدة لتمثيل مصر فى مؤتمر المستشرقين ببلاد السويد والنرويج فى هذا العام.

وكنت فى اليوم السابق قد كتبت خبراً عن حضورهم إلى جريدة الفيجارو فنشر فى هذا اليوم بنصه.

وكانت المائدة تحتوى على ضلع محشى وكفتة وبسطة وطاووق كوسى(١) وعدس وسلطات مصرية وفواكه ومربات وحلوى

ومن الفكاهات التى حدثت أثناء تناول الطعام أن الضيوف طلبوا بصلا يتناولونه مع العدس كالعادة فى مصر، فأمرت الخادمة أن تأتى بالبصل فاذا بها بعد فترة قد عادت الينا ببصل مخروط خرطاً دقيقاً كالمعد للطبخ! فضحكنا لهذا التصرف وطلبنا منها أن تحضره لنا سليما من غير خرط. ففعلت وأظهرت استغرابها من أكله على هذا النحو

أوامر خديوية. ابان اقامتى فى فرنسا صدرت إلى جملة أوامر من سمو الخديو أذكر منها ما يأتى: —

التنويم المغناطيسى. لما كان الخديو قد قرأ عن التنويم المغناطيسى وعن المنوم الفرنسى موتون الشهير فقد جاءتنى رسالة من المعية تطلب منى فيها بأمره أن أشاهد ما يقوم به المنوم المذكور وأن آخذ عنه دروسا فى هذا الفن ان أمكن، فترقبت ظهور اعلان حفلة من حفلاته، وفى يوم ٢٥ يناير سنة ١٨٨٨ ذهبت لمشاهدة هذه الحفلة، وعلى سعة البهو المقامة فيه فقد كان غاصاً بالحضور رجالا ونساء

(١) وهو صنف حلو من صدر الدجاج الناعم واللبن

وكان مع المنوم آنسة يجرى فيها تجاربه فبدأ بتنويمها ثم أمرها فأتت بأمور أدهشتنا؛ منها أنه أخذ نقوداً من أحد الحاضرين فى كفه ثم سأل النائمة عن مقدارها ونوعها فأخبرته بحقيقتها تماما . ومنها أنه تناول دبوسا غليظا وقال لها :ـــ اننى أمسك بيدى شيئاً صنع من القطن وأغمده فى ذراعها فلم تشعر به . ومنها أنه أخفى ساعة وأمرها وهى نائمة أن تبحث عن مكانها ثم أمسك بيدها حتى أوصلته إلى مخبأ الساعة .

وقد صفق له الحاضرون طويلا . ولكن نهضت سيدة واعترضت بأنه ربما كان بينه وبين الآنسة التى معه اتفاقاً وتفاهماً وطلبت أن يجرى العملية مع أحد الحاضرين فأبدى ارتياحه للطلب وطلب منها أن تكون هى موضع التجربة فقبلت .

وهنا أجلسها فى مكان التنويم وأخذ يمسح على جبهتها حتى نامت ثم ألقى عليها أسئلة اقترحها بعض الحاضرين وطلب منها الاجابة عنها فأجابت دون تلعثم .

وأخيراً سألها عما اذا كانت تعرفه فقالت : نعم . فسألها هلا تحبيننى ؟ فقالت :ـــ لا . وكيف أحبك ولى زوج أحبه ! فقال :ـــ ولكن أريد أن تحبينى، فاضطربت ، ثم كرر قائلا: نعم أريد أن تحبينى. فأجابت عندئذ فى خضوع :ـــ أحبك ـــ فقال : حينئذ أطلب منك أن تأتى وتقبلينى . فأجابته بأن ذلك مستحيل . ولكنه أصر وأمرها بتقبيله . فصدعت بالأمر وتقدمت لتنفيذه ولكنه دفعها قائلا :ـــ ارجعى فلست أريد فرجعت وهنا صفق له الحاضرون وانتهت الحفلة .

وقد أرسلت تقريراً بما شاهدته فى هذه الليلة . فجاء لى الرد بأنه لا حاجة لتلقى دروس فى التنويم .

وعلى ذكر التنويم المغناطيسى توجهت فى يوم من أيام مارس سنة ١٨٨٨ مع ابراهيم بك لمشاهدته فى صالة بالقرب من الأوبرا . ولما وصلنا هنالك شاهدنا المنوم وقد نوم شابا وجعله يفعل ما يأمره به فيبكى تارة ، ويضحك أخرى ، ويغنى حينا ، ويسكت حينا ، ويسخن ويبرد وهلم جرا . وهو فى جميع هذه الحالات غير شاعر بما يفعله وقد فقد كل احساسه . ونوم المنوم ذراعه الأيمن فصار كأنه ليس من جسمه حتى أن سيدة من الحضور تقدمت فغرزت فى لحمه دبوس القبعة فنفذ من الناحية الأخرى دون أن يحس . وتقدم رجل فعضه عضا قويا ولم يشعر . ولكن بقيت آثار الدبوس والعض

الاشتراك فى دائرة المعارف . وفى ١٠ مارس سنة ١٨٨٨ صدر إلى الأمر بأن أشترك

باسم سموه فى نسخة من دائرة المعارف « لاروس » الجديدة التى كان يجرى طبعها فنفذت الأمر .

مخدر للاسنان . وفى اكتوبر سنة ١٨٨٨ جاءتنى رسالة من زكى بك التشريفاتى يطلب إلى فيها بالأمر أن اذهب إلى عيادة طب الاسنان المسماة « لوفر دانتير » بجوار سراى اللوفر . وقد اشتهرت هذه العيادة بسائل مبتكر يسمى « الماء الوحيد » ويستعمل فى خلع الأسنان بدون ألم . لأن التخدير بالكلوروفورم لم يكن قد عرف بعد . وقد قرأ الخديو عن هذا الاختراع فى بعض الصحف الفرنسية فأراد أن يتحقق من صحته وأرسل يكلفنى بهذه المهمة فتوجهت إلى العيادة المذكورة فأذا بها تقع فى مكان شاسع فاخر يضم عدة غرف للعمليات ، وأفهمنى مديرها يومئذ أنه لم يكن فى هذا اليوم اية عملية مهمة يمكن مشاهدتها وحدد لى للحضور والمشاهدة يوماً آخر . وفى الموعد توجهت ثم دعيت إلى غرفة العمليات ورأيت الطبيب يستعد لأجراء عملية لسيدة أجلسها امامه ثم تناول امبوبة فيها السائل المقصود « الماء الوحيد » وأراها لى . ثم حقن بها لثة الاسنان المرغوب خلعها وبعد برهة ابتدأ فى العملية وكانت رأس السيدة ترتجف من تأثير الخلع ولكنها لم تبد أى تألم .

ولما سألت الطبيب عن عناصر هذا المركب امتنع عن ذكرها قائلا بانه من اختراع العيادة وخاص بها فقط .

وفى ٢٧ أبريل سنة ١٨٨٩ صدر إلى الأمر بالتوجه الى العيادة الأميركانية للأسنان بشارع لافاييت . والسؤال عما اذا كانت هناك اختراعات وأدوية جديدة للأسنان فنفذت ما طلب منى

سماعة من ذهب . وصدر لى الأمر بعد ذلك بمشترى سماعة من ذهب لتقوية السمع فاشتريتها وارسلتها ، وكانت هذه السماعة لدولة حرم الخديو « الوالدة » لوضعها بأذنها نظراً لضعف حاسة السمع عند دولتها .

وصدرت جملة أوامر أخرى قمت بتنفيذها فى حينها .